

العلاقات الدولية في الإسلام - دراسة لمراحلها التاريخية -

أ. عبد الحكيم سليمي^(١)

مدخل:

إنّ الإسلام دين اجتماعي، وأحكامه مجموعة مترابطة تشمل كلّ العلاقات في حياة المسلم (علاقته بالله وبالأخرين وبنفسه). وبهذا، فإنّ الإسلام هو عبارة عن دين يجمع بين عقيدة التوحيد والقانون والتعاليم والقيم الأخلاقية. ومن هنا، نرى أنّ تأثير الإسلام كان عجبياً وبنوياً على المجتمع العربي حين نزوله، حيث أعطى لهذا المجتمع هوية مميّزة، ونظّم له علاقاته في مؤسّسة الأسرة والقوانين الجزائية والمعاملات التجارية والأنظمة المتنوّعة. فحوّله من قبائل متفرّقة إلى أمة واحدة تجمعها حكومة مركزية قائمة على سيادة القانون والمصالح العامّة والأصليّة للإنسان.

وقد دعا الإسلام، ومنذ ظهوره، إلى الأخوة الإنسانية والسلام العالمي، حيث سرت السيرة العملية للرسول الأكرم ﷺ بين المسلمين، ومن ثمّ بين المسيحيين الذين كانوا يرزحون تحت ضغط الكنيسة وحرمانهم من حرّية العقيدة؛ لتصبح الدعوة إلى صياغة حقوق للإنسان على المستوى الدولي مطلباً شاملاً وعالمياً، ويشهد على هذا أقوال علماء أوروبا

(١) باحث في الفكر الإسلامي، من إيران.

واعترافاتهم، في القرنين السادس عشر والسابع عشر، أمثال: جان جاك روسو، وفولتير، وشوبنهاور، وبوازار^(١). يقول مارسيل بوازار: «تميّزت نظرة الإسلام العالمية بميزتين هامتين، إحداهما: الإيمان بالله. والثانية: رفض أيّ تمييز عنصري أو قومي، والتأكيد على المساواة بين البشر. فاستطاع النبي محمد ﷺ بهذا أن يقتلع روح العصبية الجاهلية من اليهود والمشركين في مكة، ويعطي قيمة للإنسان بما هو إنسان، ويتعامل برحمة مع اليهود والمسيحيين، وصولاً إلى بناء عالم تسوده مفاهيم الأخوة والتعاون والمساواة»^(٢).

إنّ تاريخ العلاقات الدولية في الإسلام يشهد على قدم نظام العلاقات الدولية في الإسلام، ومدى رغبة المجتمع الإسلامي بتمتين العلاقات الدولية واحترام أصولها.

فحينما كان الصراع والتوتر حاكماً على العلاقات بين القبائل العربية والحكومات المجاورة، كالحبشة، والحيرة، وغسان، وسبأ، وكذلك الأمر بين الأمبراطورية الإيرانية والروم، جاء الرسول ﷺ ليؤسس مفهوم التعاون والاحترام في العلاقات الدولية^(٣).

ويمكن أن نبحت في تاريخ العلاقات الدولية في الإسلام؛ عبر دراستنا لمراحلها المختلفة:

المبحث الأول: منذ البعثة وحتى الزمن الحديث:

١- العلاقات الدولية في زمن الرسول ﷺ:

اهتم الرسول الأكرم ﷺ اهتماماً خاصاً بالعلاقات الدولية، حيث

(١) ابراهيمي، محمد؛ حسيني، علي رضا: اسلام وحقوق بين الملل عمومي (الإسلام والحقوق الدولية)، طهران، سمت، ١٣٧٢هـ.ش/ ١٩٩٣م، ج ١، ص ٥١.

(٢) بوازار، مارسيل: اسلام وجهان امروز (الإسلام والعالم المعاصر)، ترجمه مسعود محمد، طهران، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ١٣٦٩هـ.ش/ ١٩٩٠م، ص ٢٠٢-٢٠٤.

(٣) عميد زنجاني، عباسعلي: فقه سياسي (الفقه السياسي)، طهران، اميركبير، ١٣٧٢هـ.ش/ ١٩٩٤م، ج ٢، ص ١٢٧-١٣٢.

سعى في البداية إلى تنظيم العلاقة فيما بين القبائل العربية؛ باعتبار كل منها وحدة سياسية مستقلة؛ ليصل فيما بعد إلى توحيد القبائل المختلفة وجعلها قوّة عظيمة لا منافس لها، وقد عقد الرسول الأكرم ﷺ معاهدات متعددة بين القبائل العربية :

أ- ميثاق المدينة: وهو من أهمّ المعاهدات التي أمضاها الرسول ﷺ؛ بصفته حاكماً إسلامياً مع القبائل اليهودية في المدينة؛ ليقرّ بذلك أصل التعايش والتعاون والتفاهم في العلاقات الدولية^(١).

ب- صلح الحديبية^(٢): وهو اتفاق بين المسلمين وقريش؛ قضى بترك الحرب والنزاع في ما بينهم لمدة عشرة سنوات ليحل الأمن والسلام في شبه الجزيرة العربية^(٣).

ج- معاهدة السلام الدائم مع نصارى نجران: وبموجب هذه المعاهدة تعهّد مسيحيو نجران بدفع مبالغ سنوية للحكومة الإسلامية، التي في المقابل تأخذ على عاتقها حمايتهم والدفاع عنهم وتأمين الحرّية الدينية لهم^(٤).

بعدما نظّم الرسول الأكرم ﷺ العلاقات الداخلية بين القبائل العربية بدأ بالعمل على إقامة علاقات مع الحكومات والدول المجاورة؛ عبر إرسال الموفدين، وبعث الرسائل، وإمضاء المعاهدات، وفتح صفحات جديدة معهم تسودها العلاقات السلمية والأخوية، حيث إنّ إرسال الرسائل والسفراء إلى أباطرة الروم وإيران، لم يكن أمراً عادياً في تلك الظروف، بل هو ابتكار وعمل إبداعي، في مجال إيجاد العلاقات الدولية وتمييتها، وكذلك كان التواصل مع البلدان الصغيرة، على الرغم من

(١) ابن هشام: محمد، السيرة النبوية، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥، ج٢، ص١٤٧-١٥٠؛ ابن الأثير، عزّ الدين: الكامل في التاريخ، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج١، ص٥٨٤.

(٢) «معاهدة (مهادنة): قرار داد مبنى برترك جنك برای مدت معین»: انظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلاتا، ج٢١، ص٢٩١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، م.س، ج٢، ص٢٣١-٢٣٤.

(٤) البلادزي، أحمد: فتوح البلدان، ترجمة محمد توكّل، نشر نقره، ١٣٦٧هـ.ش/ ١٩٨٨م، ص٩٩.

انزعاج إمبراطوريتي الروم وإيران، دليلاً على نجاح الرسول ﷺ في خلق العلاقات السلمية بين الدول.

إنّ رسائل النبي الأكرم ﷺ إلى حكام ذلك الزمان، ودعوتهم إلى التوحيد والحياة السلمية، هي وثائق نادرة وشواهد حيّة في هذا المجال^(١).

٢- العلاقات الدولية في زمن الخلفاء:

وسّع الرسول الأكرم ﷺ من مجال علاقاته الدولية منذ العام السادس للهجرة مع المجتمعات والشعوب والحكومات الأخرى، وقد ظهرت آثار هذه العلاقات في زمان الخلفاء، وكان سقوط إمبراطورية الروم، بعد انسحاب هرقل من الشام، وسقوط الإمبراطورية الإيرانية في زمان الخليفة الثاني، انعكاساً سياسياً للخطوات التي انتهجها الرسول ﷺ في أواخر أيام عمره الشريف. وكان اصطلاح الفتوحات الإسلامية (في عصر الخلفاء) هو الأساس الذي أطلقه المؤرّخون على هذا الانعكاس، الذي عبّر في الواقع عن انتقال القدرة إلى الحكومة الإسلامية الجديدة ورسالتها الحديثة^(٢).

ويرى بعض المحلّلين أنّ سقوط إمبراطورية الروم وفتح العراق وإيران كان ثمرة للأساليب الحكيمة التي قام بها الرسول الأكرم ﷺ في مجال العلاقات الدولية. وبعبارة أخرى: إنّ هذه الفتوحات والانتصارات لا يمكن أن تكون نتيجة لعمل عسكري فقط، وإنّما هي محصّلة لسياسات وتدابير بنيوية للرسول الأكرم ﷺ في مجال العلاقات الدولية^(٣). ويقول أحد الكتّاب: «لعلّ أهم إنجاز للمسلمين يتمثّل في تعرّف جماهير كثيرة من شعوب العالم على مفاهيم جديدة في مجال العدالة والمساواة والكرامة الإنسانية»^(٤).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، م.س، ج٤، ص٢٥٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.س، ص٥٩٤-٥٩١؛ الميانجي، على احمدي: مكاتيب الرسول، طهران، دار الحديث الثقافية، ١٤١٩ هـ.ق، ج٢، ص٣١٥-٥٠٨؛ حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دارالنفاس، ١٤٠٧ هـ.ق.

(٢) لويون، كوستاف: تمدن اسلام وعرب (حضارة الإسلام والعرب)، ترجمة السيد هاشم حسيني، طهران، اسلاميه، ١٣٧٤ هـ.ش / ١٩٩٥ م، ص٥٧-١٦٣.

(٣) عميد زنجاني، فقه سياسى، م.س، ج٢، ص١٢٥.

(٤) م.ن.

لكن الملاحظ أنّ الابتكار والحيوية الذين تميّز بهما عصر الرسالة في مجال العلاقات الدولية انخفضا كثيراً وخفّ بريقهما في زمان الخلفاء؛ لأنّ الحروب والصراعات الداخلية، وقفت حائلاً دون الانفتاح على المجال الدولي، مع حفظ نسبي في زمن الخلفاء لسيرة الرسول الأكرم ﷺ وأساليبه في العلاقات الدولية.

٣- انحراف مسار السياسة الدولية عند المسلمين:

إنّ انحراف مسار السياسة الدولية عند المسلمين في مرحلة ما بعد الخلفاء تمثّل في تحويل الحكومة الإسلامية إلى ملكية وسلطة موروثية لا تخضع لأيّ من المعايير والأصول الإسلامية التي أرساها الرسول (١). الأمر الذي يتجلّى بوضوح في العهد الأموي، وبعض مراحل العهد العباسي (٢). وهذه نماذج عن الانحراف الذي شهدته العلاقات الدولية للمسلمين:

أ- **تبديل الخلافة إلى سلطنة:** مع استلام معاوية للسلطة (٣)؛ ولأجل تقوية موقعه فيها، قام بتوقيع معاهدة سلام مع إمبراطور الروم -كنستانس الثاني- (٤) منحه بموجبها امتيازات كثيرة، وتنازل عملياً عن مجموعة من الأصول والثوابت في السياسة الإسلامية (٥).

ب- **معاهدة معاوية مع إمبراطور الروم (٦٥٨ ميلادي) (٦):** نصّت هذه المعاهدة على وقف الحرب لمدة ثلاثين سنة بين المسلمين والروم،

(١) الرضي، الشريف محمد بن الحسين بن موسى: نهج البلاغة (الجامع لخطب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وحكمه ورسائله)، شرح محمد دشتي، قم المقدّسة، نشر آل طه، ١٣٧٩ هـ.ش، الخطبة ١٨، ص ٢٠٢.

(٢) الخميني، روح الله الموسوي، ولاية الفقيه، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﷺ، ١٣٧٢ هـ.ش/ ١٩٩٤ م، ص ٢٥-٢٦.

(٣) العصر الأموي بدأ باستلام معاوية الحكمفي العام (٤١ هـ.ق)، وانتهى في العام (١٢٢ هـ.ق) بمقتل مروان.

(٤) هذا ما ينقله أهل السنّة أمّا الشيعة فيؤمنون بأنّ الإمام علي ﷺ هو خليفة الرسول بالحقّ. انظر: الأميني، أحمد: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط ٢، طهران، نشر اسلامية، ١٣٦٦ هـ.ش/ ١٩٨٧ م.

(٥) خدوري، مجيد: جنگ وصلح در قانون اسلام (الحرب والسلام في قانون الإسلام)، طهران، اقبال وشركاه، ١٣٣٥ هـ.ش/ ١٩٥٦ م، ص ٢٢٤.

(٦) م. ن، ص ٢٣٤، نقلاً عن: اعتماد السلطنة، حجّة السعادة في حجّة الشهادة، في الشرح المذكور في هادي المحقّقين، فلسفه شهادت يا رمز محبّت (فلسفه الشهادة أو رمز المحبة)، شيراز، كلستان، ١٣٧٤ هـ.ش/

على أن يقوم معاوية؛ بصفته ملكاً لبلاد العرب وإيران وطوران بدفع مبالغ طائلة (٣٠ ألف سكة ذهبية)، وتحرير ٨٠٠ من الأسرى المسيحيين، وإرسال ٨٠٠ من الجياد العربية إلى القسطنطينية، مقابل أن لا يتعرض الروم للبلاد الإسلامية.

كان تصرف معاوية مستهجناً لدى المؤرخين اليونانيين وأبو الفرج الشامي (مؤرخ مسيحي)، فضلاً عن عقلاء المسلمين وقتها، الذين خالف أكثرهم هذا العمل^(١). ولعلّ خضوع معاوية للروم جعل بعض المسيحيين يقول: « لو وضعنا تمثال معاوية في جميع الكنائس لما وفّيناه حقّه وخدماته للعالم»^(٢).

ج- مسار السياسة الدولية في العهد العباسي^(٣): تميّز العهد العباسي، وخاصّة في زمان هارون الرشيد بعلاقات دولية، لم تكن في صالح السياسة الإسلامية وسيادة الدولة. وقد أحصى المسعودي اثني عشرة وثيقة واتّفاق إبان عهد هارون الرشيد^(٤)، لكن لم تكن علاقات هارون الرشيد وشارلمان علاقات متوازنة بين شعبيين أو دولتين أو بين العالم الإسلامي والمسيحي^(٥). ويعتقد بوكلهر أنّ الارتباط والعلاقة التي بدأت في العام ٧٦٥م، بين الروم الشرقيين والعبّاسيين في زمان المنصور، وعلى يد بيبين، والتي استمرّت أيام ابنه شارلمان، كان لها نتيجة واضحة؛ هي صفقة تنازل فيها المسلمون عن مدينة القدس وفلسطين المحتلة لمصلحة شارلمان^(٦) ولعلّها المرّة الأولى التي يتمّ فيها تثبيت الادّعاء،

(١) خدوري، جنك وصلح در قانون اسلام (الحرب والسلم في قانون الإسلام)، م.س، ص ٢٢٥، ٢٢٢ (الفهرس).

(٢) م.ن.

(٣) الحكم العباسي: بدأ في العام ١٢٢هـ.ق؛ وذلك باستلام عبد الله السفّاح الحكم، وانتهى في العام ٦٥٦هـ.ق؛ بمقتل المعتصم.

(٤) علي المسعودي، التنبية والاشراف، القاهرة، ١٢٥٧ هـ.ق/ ١٩٢٨م، ص ١٦٠-١٦٦.

(٥) خدوري، جنك وصلح در قانون اسلام (الحرب والسلم في قانون الإسلام)، م.س، ص ٣٦٨-٣٧١.

(٦) م.ن.

والذي انطلقت على أساسه الحروب الصليبية بالحق في السيطرة على القدس.

٤- العلاقات الدولية في زمان الإمبراطورية العثمانية:

إن السياسة التي انتهجتها الدولة العثمانية مع جيرانها وغيرهم من الدول غير الإسلامية لم تكن مرتكزة على منهج واحد ومبادئ واضحة في جميع مراحلها، فهي اعتمدت العنف والقوة والتوسع في مرحلة القوة، وتحوّلت سياستها لاحقاً نحو الدبلوماسية والعلاقات الصحّية مع هذه الدول.

ويقول المستشرق «برنارد لويس»: «لم يكن الخلفاء العثمانيون يعترفون بالدول غير الإسلامية، ولا يقيمون علاقات سلمية معها، لكنهم بعد فشلهم في احتلال فيينا في العام ١٥٢٣م، أظهروا تغييراً أساسياً في نهجهم وتعاملهم، حيث اعترفوا بتلك البلدان غير الإسلامية، وأقاموا فيها علاقات دبلوماسية والمساوي الحميدة في الإسلام. وتمّ إنشاء جهاز لمتابعة العلاقات الدولية وتنظيمها بين الخليفة العثماني والدول الأجنبية^(١). وبعد هزيمة العثمانيين عُقدت معاهدة مذلة بين سليمان الأول والملك الفرنسي في العام ١٥٣٥م.

ويذكر مجيد خدوري (المؤرخ العراقي المسيحي) أنّ هذه المعاهدة شكّلت ثورة حقيقية في النظام السياسي الحقوقي في الإسلام؛ كونها أوجدت عدّة بدع في العلاقات الإسلامية المسيحية، أهمها: أصل التساوي في العلاقات بين الدول، وإقامة سلام دائم وثابت بين العثمانيين وأوروبا، وكذلك إعفاء غير المسلمين من الجزية إذا أقاموا في دار الإسلام لأكثر من سنة. ويضيف أنه لأول مرة يتوسّل المسلمون بأسلوب غير الجهاد؛

(١) لويس: برنارد، نخستين مسلمانان در اروپا (المسلمون الأوائل في أوروبا)، ترجمة م. قائد، طهران، نشر مركز، ١٣٧٤هـ.ش/ ١٩٩٥م، ص ٨٢؛ بهزادي، حميد: روابط بين المللي اسلام در دوره امپراتوري عثمانی (العلاقات الدولية الإسلامية في العهد العثماني)، نشرية كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة طهران، العدد ١٢، شتاء ١٣٥١هـ.ش/ ١٩٧٢م، ص ١١٦-١١٧.

لنيل مصالحهم الخارجية، وهذا تغيير هام في أصول العلاقات الدولية في الإسلام^(١). وقد عقد العثمانيون معاهدات مماثلة مع النمسا وبريطانيا وألمانيا وروسيا، حيث أقرّوا فيها استثمار جديد يسمح للأجانب بالعمل داخل البلاد الإسلامية.

نقد وتقويم:

إنّ التبدّل الجوهري الذي جرى في العلاقات الدولية عند الحكّام المسلمين بعد الخلفاء، لا يمكن أن يكون مؤثراً لتغيير طرأ في العلاقات الدولية في الإسلام أو تحوّل في نهجها ومسارها.

وللوصول إلى تحليل دقيق لما جرى، ولفهم الهوة العميقة بين النظر والعمل، ينبغي التفكيك بين الأصول والقواعد الأصلية للنظام الحقوقي الإسلامي، وبين ما قام به بعض الحكّام والزعماء المسلمين عملياً.

وإنّ عدم التمييز والتفريق بين البعدين العملي والنظري، أدّى إلى وقوع أغلب المستشرقين، وبل العديد من المسلمين في الخطأ بالتحليل والتقويم، حيث إنهم بنوا نظريّاتهم على عمل الحكّام، في بعض المراحل التاريخية، بدلاً من الرجوع إلى التعاليم الإسلامية من مصادرها الأصلية. ومن أبرز الأخطاء في هذا المجال هو افتراض أنّ الماهية الحقوقية للعلاقات الدولية في الإسلام قائمة على أساس «حقوق الحرب»، بينما الأصل الحقيقي هو «حقوق السلم». والعلاقة بين الإسلام والآخرين لم تكن يوماً على أساس الجهاد المستمرّ والحرب، كما تمّ تصوّرها وتصورها. ونهج العثمانيين، وما شهدته من صراع ومعاهدات، إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على الظروف الخاصّة بهم في ذلك الزمان، ولا علاقة له بأصول العلاقات الدولية في الإسلام وقواعدها.

وهذه الحقيقة تظهر بوضوح في كلام للمندوب العثماني، حينما كان

(١) خدوري، جنك وصلح در قانون اسلام (الحرب والسلم في قانون الإسلام)، م.س، ص ٤٠٧-٤١١.

يقوم بالتفاوض مع الفرنسيين، فهو يشير إلى مبادئ السياسة الخارجية للإمبراطورية العثمانية، بقوله: «على كل بلد أن يمارس نوعين من السياسة الخارجية، الأولى: هي سياسة خارجية ثابتة، تكون مبنية وأساساً لكل سلوك سياسي للبلد مع الخارج. والسياسة الثانية مؤقتة، يمكن ممارستها بحسب الحاجة والظروف الحالية الخاصة»^(١).

وعليه، فإن تبرير بعض الحكام المسلمين والدفاع عنه ليس منطقياً، ولا ينسجم مع المعايير الإسلامية. لكن آراء المستشرقين وجهلهم بأبسط القواعد الإسلامية غير مقبول أيضاً؛ لأن السيرة النبوية في مجال العلاقات الدولية من النقاط البارزة والواضحة في الحياة السياسية للرسول الأكرم ﷺ وهي لا تقبل الشك والترديد بالأصول والمعايير السلمية القائمة على رغبة في التعاون والتفاهم، ورفض الظلم والتسلط، والدعوة إلى التوحيد والسلام.

إن ابتكارات الرسول الأكرم ﷺ، في مجال العلاقات الدولية، شكّلت محطات تاريخية نادرة لا نظير لها؛ وما الرسائل والسفراء المرسلين إلى حكام الدول الأخرى وملوكها، وعقد المعاهدات والمواثيق مع القبائل والمجموعات الدينية؛ كمعاهدة السلام الدائم مع نصارى نجران، إلا بمثابة دليل واضح على اهتمام خاص بإقامة علاقات سلمية وودية بين الشعوب.

٥- نظرة عامة في علاقات العالم الإسلامي بالغرب:

إن القدرة السياسية والعسكرية للمسلمين، والضعف السياسي-الاجتماعي للأوروبيين جعل العلاقات السياسية للعالم الإسلامي مع الغرب وحتى القرن السابع عشر الميلادي (الثاني عشر للهجرة) محكومة بمعادلات القوة والصراع والحقد والمنافسة السلبية والانتقام. فقد كان المسلمون في حالة هجومية مستمرة على الغرب حتى هزيمتهم وفشلهم في «احتلال

(١) عميد زنجاني، فقه سياسي، م، س، ج، ٢، ص ١٤١.

فبيننا»، فانقلبت الآية وصار الغرب مهاجماً والعثمانيون في حالة تراجع ودفاع وضعف متواصل. وبسبب العوامل الداخلية والخارجية انتقل العالم الإسلامي منذ القرن السادس عشر الميلادي؛ من عهد ازدهار وتقدم ثقافي وعلمي واقتصادي واجتماعي، إلى مرحلة انحطاط وضعف وتشتت.

وكان أن امتزجت التعاليم الإسلامية بالانحرافات والبدع، فلم يكن هناك مجال للفكر الإسلامي الأصيل أن يتجسد على أرض الواقع، بعد تلك النهضة العظمى والنقلة النوعية التي قام بها الرسول الأكرم ﷺ وتابعتها الخلفاء من بعده، حيث تحوّل الدين الإسلامي - عند بعض الحكّام - إلى أداة لتبرير انحراف الحكّام وفسادهم، ذاك الانحراف الذي بدأ بتحويل الأمة الإسلامية إلى سلطة ملكيّة متوارثة؛ كان لا بدّ له أن يقود المجتمع الإسلامي إلى أدنى مستويات الانحطاط الأخلاقي والعسكري. وبعد هزيمة الدولة العثمانية، وخلال مرحلة استمرت حوالي المئة عام، سيطر الأوروبيون على كل بلاد العالم الإسلامي وفرضوا سلطتهم الكاملة بعد العام ١٩١٩م، وازدادت ضغوط التواجد الغربي في البلاد الإسلامية منذ أواخر القرن السابع عشر، وبدلاً من أن تتعامل أوروبا مع العالم الإسلامي وفق المبادئ التي تدّعيها من المساواة والمصالح المشتركة، فضّلت أن تمارس الهيمنة والنهب وتأمين مصالحها فقط.

وفي أنموذج لنمط التفكير الأوروبي، يكتب القاضي لوريمر في العام ١٨٨٢م، أنّ المجتمع البشري ينقسم إلى ثلاث فئات: البشرية المتحضّرة، ونصف المتوحّشة، والمتوحّشة. ولكلّ منها حقوق سياسية مختلفة عن الأخرى. وعليه^(١) فإنّ القوانين والأنظمة الأوروبية لا ينبغي أن تطبّق على الشعوب نصف المتوحّشة؛ كالمسلمين، الذين لا يمكنهم التعايش سلميًّا مع باقي الشعوب^(٢).

(١) انظر: لوريمر، جيمس: مؤسّسات حقوق الأمم، طبع ادنبرغ، ١٨٨٢م، ج ١، ص ١٠١؛ خدوري، جنك وصلح در قانون اسلام (الحرب والسلام في قانون الإسلام)، م.س، ص ٤٢٣.

(٢) م.ن، ص ١٢، ٤٢٤.

وهكذا جرى الترويج للعداوة مع الإسلام والمسلمين، وللأسف فإنّ عمل الحكّام المسلمين ساهم في تشويه صورة الإسلام. والحال أنّ هذا الدين قد طرح أصل التعايش السلمي والتعاون بين الشعوب منذ بداياته الأولى^(١)، فكان الخلط وعدم التفكيك بين تعاليم الدين وأداء الحكّام المسلمين، وبالتالي عدم التمييز بين البعدين النظري والعملي، يشكّل أرضية خصبة للحكم السلبي على النظام السياسي للإسلام، وخاصّة في مجال علاقاته الدولية.

المبحث الثاني: العلاقات الدولية للعالم الإسلامي في العصر الحالي:

حينما أحكم الغربيون سيطرتهم على البلدان الإسلامية في العام ١٩١٩م، بدأ عملياً إجراء خطة تقسيم العالم الإسلامي إلى بلدان صغيرة تابعة للغرب، وتعيين حكام مسلمين يعتقدون بفصل الدين عن السياسة، ويتبنون الأنظمة السياسية والحقوقية الغربية بشكل كامل. وجاء إعلان مصطفى كمال الملقّب بـ«أب الأتراك» (أتاتورك) عن الإلغاء الرسمي للخلافة الإسلامية؛ بوصفه حركة ترمز إلى هدم آخر الآثار السياسية للعالم الإسلامي في العام ١٩٢٤م. وكانت صدمة آنذاك؛ تحرّكت بعدها بعض النخب الإسلامية في القاهرة في العام ١٩٢٦م^(٢). ومن ثمّ في مكة المكرمة في العام ١٩٢٦م، والقدس في العام ١٩٣١م؛ لتقيم المؤتمرات، وتصدر البيانات الراضية لإلغاء الخلافة، والمتمسّكة بأصل وحدة الأمّة الإسلامية، وضرورة العمل مجدّداً على توحيد العالم الإسلامي واستقلاله^(٣).

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) للاطلاع أكثر على انحلال الخلافة، يمكن الرجوع إلى: جى. توين بي، دراسة في الأوضاع الدولية في العام ١٩٢٥م، ١٩٢٧م، ج ١، ص ٨١-٩٠.

(٣) م.ن.

وبدأ النظام السياسي الحقوقي الجديد في إحكام سيطرته وإلقاء ظلاله الغربية، في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة على العالم الإسلامي؛ ليحلّ محلّ الفكر الديني الذي انزوى جانباً لمصلحة الفكر القومي والوطني ومبدأ العلمانية الغربي، وبهذا ضعف الأمل، وساد الغموض واليأس عند الحالمين بعودة حاكمية الإسلام على الحياة الاجتماعية الإسلامية في مجالاتها كافة. وصارت العلاقات الدولية للمسلمين شبيهة بالنمط الغربي في معاييرها وأصولها وأهدافها، ولم يعد لهم أيّ تميّز وخاصية مختلفة عن الغرب^(١).

إلى جانب الحركة الشاملة للتغرب والتبعية لأوروبا، نشأت في القرن التاسع عشر حركات متعدّدة ذات توجه إسلامي تدعو لإحياء الوحدة الإسلامية والأصول الإسلامية في السياسة والاجتماع والعلاقات بين المسلمين والغرب^(٢). وقد دعت هذه الحركات إلى العودة لقيم صدر الإسلام بشكل عملي^(٣).

لكنّ جهود تلك الحركات تعرّضت للقمع والضغط من جهة، كما أنّ الضعف النظري والعملي لديها منعها من الانتشار وأضعف مشاركتها في صنع تجارب مؤثّرة وقوية من جهة أخرى؛ وبالنتيجة تحوّل الأمل بعودة الإسلام إلى القدرة وصناعة النموذج الإسلامي في مجال السياسة والعلاقات الدولية إلى حلم وأمنية بعيدة عن الواقع والإمكان العملي. وهنا سنقسّم البحث في العلاقات الدولية في العالم الإسلامي إلى مرحلتين:

(١) انظر: الموثقي، أحمد: جنبشهای اسلامی معاصر (الحركات الإسلامية المعاصرة)، طهران، سمت، ١٣٧٤هـ.ش / ١٩٩٥م؛ اندرسون، نورمن: تحولات حقوقی جهان اسلام (التغييرات الحقوقية للعالم الإسلامي)، ترجمة فخر الدين اصغري ومساعديه، دفتر تبليغات اسلامي، ١٣٧٦هـ.ش / ١٩٩٧م.

(٢) عميد زنجاني، فقه سياسي، ج ٣، ص ١٤٢.

(٣) انظر: لويس، نخستين مسلمانان در اروپا (المسلمون الأوائل في أوروبا)، ص ٨٢ وما يليها؛ بهزادي، روابط بين المللي اسلام در دوره امپراتوري عثمانی (العلاقات الدولية الإسلامية في العهد العثماني)، ص ١١٦-

١- مرحلة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران:

ونشير هنا إلى بعض الحركات الإسلامية في القرن التاسع عشر، التي سعت إلى إعادة طرح مشروع إسلامي متكامل؛ يوحد البلدان الإسلامية، ويقدم الإسلام؛ بوصفه نظاماً للحكم والإدارة والعلاقات الدولية.

أ- حركة المهدي في السودان: بقيادة محمد بن أحمد المعروف بالمهدي السوداني. حيث بدأت هذه الحركة في العام ١٨٨١م، وطالبت بإقامة الحكومة الإسلامية. وتعود الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني إلى التعاليم الصوفية وطرقها، وخاصة تعاليم محمد الغزالي، ونظريات السيد جمال الدين^(١).

ومن المواقف البارزة لهذه الحركة؛ الدعوة لطرده المحتل الإنكليزي من السودان، ومقاومته تحت شعار الإسلام^(٢).

وقد استطاعت هذه الحركة أن تتجح في تحرير السودان، وتشكيل حكومة إسلامية، ولكن الخلافات الداخلية من جهة، والتفوق العسكري الخارجي والتنافس الأوروبي على استعمار إفريقيا من جهة أخرى حالاً دون استمرار هذه الحكومة، التي انتهت بعد ١٢ سنة من التجربة الإسلامية الجديدة^(٣).

ب- حركة الخلافة الهندية: كان من الطبيعي أن يرفض المسلمون في الهند سلطة الإنكليز ونهبهم للبلاد، وكانت تعاليم الإسلام تشكل مصدراً هاماً لهذه المقاومة، وقد التفت الإنكليز إلى أهمية العامل الديني عند المسلمين؛ فقاموا بتنفيذ خطط ومؤامرات وفتن هدفت إلى إضعاف أي تأثير للحركة الإسلامية على المستوى الثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي^(٤).

(١) موتقي، جنبشهاى اسلامى معاصر (الحركات الإسلامية المعاصرة)، م.س، ص ٢٣٦، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٦ وما يليها.

(٢) م.ن.

(٣) موتقي، جنبشهاى اسلامى معاصر (الحركات الإسلامية المعاصرة)، م.س، ص ٢٣٦، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٦ وما يليها.

(٤) م.ن.

وحرّض الإنكليز الهندوس على المسلمين؛ متّبعين سياستهم المشهورة «فرّق تسد»، وعطلّوا المدارس الإسلامية، وتسلبّوا على الوقف، وفرضوا اللغة الإنكليزية لغة رسمية بدل الفارسية، ومنعوا المسلمين من العمل التجاري وحاصروهم في مختلف المجالات. ولم يطل الأمر بالمسلمين الهنود حتى نهضت بعض النخب منهم؛ لتشكل حركة إسلامية باسم «حركة الخلافة» في العام ١٩١٩م. وقد جاءت هذه النهضة بعد سلسلة أحداث مهمّة جعلت المشاعر الإسلامية تتأجج، مثل: الحرب بين اليونان والعثمانيين ١٨٩٧م، وكذلك مشروع تقسيم إيران ١٩٠٧م، واحتلال الغربيين لشمال أفريقيا. وفي مرحلة أخرى شهد العالم حرب البلقان ضد العثمانيين ١٩١٢-١٩١٨م، واحتلال الروس والإنكليز لإيران ١٩١١م، وقصف ضريح الإمام الرضا عليه السلام بالمدافع الروسية، ومن ثمّ الحرب العالمية الأولى ومعارك الحلفاء ضدّ العثمانيين (١٩١٤-١٩١٨م). كلّ هذه الأحداث جعلت المسلمين الهنود ينهضون لإثبات دعمهم ووفائهم للمسلمين في العالم، وتحوّلت هذه المشاعر بشكل تدريجي إلى إطار سياسي وحركة منظمة تطرح الوحدة الإسلامية ومقاومة الاستعمار الغربي. إلا أنّ هذه الحركة أيضاً لم تصل إلى أهدافها المنشودة^(١).

ومن نقاط الضعف النظري لهذه الحركة: أنّها لم تكن تمتلك رؤية وتصوراً واضحاً عن الحكومة الإسلامية، وأنّ نظام الحكم الذي كانت تطرحه لم يكن يختلف كثيراً عن الأنظمة الليبرالية والديمقراطية الغربية في أوروبا. ولهذا لم تستمرّ، ولم يكتب لها النجاح.

ج- جهود محمد علي جناح لإقامة بلد إسلامي: كان محمد علي جناح الزعيم الباكستاني يقول: «إنّ المسلمين يريدون أن يقيموا بلدهم باكستان؛ كي يتمكنوا من العيش وفق معتقداتهم وقوانينهم وثقافتهم وتعاليمهم الإسلامية. ولطالما أكّد على إيجاد بلد

(١) صدقي، كلیم: مسائل نهضتهاى اسلامى (قضايا الحركات الإسلامية)، ترجمة هادي خسروشاهي، طهران، نشر اطلاعات، ١٣٧٥هـ.ش/ ١٩٩٦م، ص ١٤٢.

إسلامي قائم على الأسس والأصول الإسلامية، الأمر الذي ضمنه الدستور الباكستاني ١٩٦٥م، وملحقه في العام ١٩٦٢م، والدستور الذي تمّ إقراره وتصديقه في العام ١٩٦٣م^(١). ورداً على تعجّب أحد المفكرين السياسيين الذي سأله «عجيب أن يدعو شخص مثلك لديه هذا الاطلاع والتجربة في القانون الدولي إلى تشكيل حكومة على أساس ديني!». أجابه محمد علي جناح: «إنّ الإسلام منطلق الحياة، يمتلك مجموعة متكاملة من الأنظمة والمقرّرات الاجتماعية»^(٢).

د- منظمة العمل الإسلامي: هي منظمة دولية دينية، تضمّ البلدان الإسلامية من قارتي آسيا وأفريقيا، وتعمل للوصول إلى الأهداف المشتركة (١٩٧٩م). وتشمل الأهداف الدولية للمنظمة: التفاهم والتعاون الدولي، والسعي لإحلال السلام والأمن العالمي، ورفع أشكال التمييز العنصري، ومقاومة الاستعمار، وكذلك التضامن الإسلامي، ودعم حركات التحرّر الإسلامي^(٣). وأمّا الخلفية التاريخية والسياسية والثقافية لتأسيس هكذا منظمة؛ فقد تنوّعت بين الحاجة إلى التضامن الإسلامي والتفاهم بين الدول الإسلامية، وخاصة بعد هزيمة الأنظمة العربية بعد حرب الستة أيام في حزيران ١٩٦٧م، وكذلك جريمة إحراق المسجد الأقصى في ٣٠ آب ١٩٦٩م. فكانت هذه المنظمة ردة فعل وحركة تستجيب لتطلّعات الرأي العامّ في العالم الإسلامي^(٤).

ومن أهمّ أعمال المنظمة صياغة الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان

(١) اندرسون، تحولات حقوقى جهان اسلام (التغييرات الحقوقية للعالم الإسلامي)، م.س، ص ٢٤٣ وما يليها.

(٢) خدوري، جنك وصلح در قانون اسلام (الحرب والسلام في قانون الإسلام)، م.س، ص ٤٤٦.

(٣) ممدوحى، فرزاد: سازمان كنفرايس اسلامى (منظمة المؤتمر الإسلامي)، طهران، وزارة الخارجية، ١٣٧٥هـ.ش/ ١٩٩٦م، ص ٢١.

(٤) منشور منظمة المؤتمر الإسلامي، المادة الثانية، القسم ألف.

وإصداره في العام ١٩٩٠م، وهو جهد مميز من قِبَل العالم الإسلامي؛ لتقديم هويته الإسلامية على المستوى الدولي. وقد حوى نقاط عديدة مبتكرة وقيّمة لا توجد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ وذلك على أساس ديني وشرعي، ومن خلال التأكيد على حقّ الإنسان في التمتع بأجواء معنوية وروحية مناسبة^(١).

ولكن، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الجانب العملي للمنظمة بقي ضعيفاً ومحدوداً؛ كونها لا تملك آلية ملزمة لتنفيذ التوصيات والآراء التي تطرحها، وكذلك الضعف المادّي للمنظمة الذي جعل بعض الدول المانحة والداعمة تتمتع بنفوذ قوي؛ ما جعلها ترضخ لمصالح هذه الدول ذات الاقتصاد القوي وآرائهم.

على أيّ حال، فإنّ منظمة المؤتمر الإسلامي مؤهّلة، في حال رفع هذه الشوائب والآفات، لكي تلعب دوراً هاماً في العلاقات الدولية، وحضور الهوية الإسلامية في تقديم الصورة الحقيقية والمشرفة للرؤية الإسلامية في المجالات المختلفة^(٢).

٢. العلاقات الدولية للعالم الإسلامي بعد انتصار الثورة الإسلامية

في إيران:

أ- أهميّة الثورة الإسلامية في إيران:

تعدّ الثورة الإسلامية في إيران من أهمّ الأحداث التي وقعت في الزمن المعاصر، حيث إنّ انتصارها في شباط من العام ١٩٧٩م بقيادة عالم ديني وشخصية فريدة كالإمام الخميني قُدْسِ سَنتُهُ فتح صفحة جديدة وناصعة في تاريخ الإسلام، بعد أن توقّفت حركة الأمة الإسلامية التي باتت تتراجع نحو الانحطاط أكثر فأكثر، فانطلقت روح جديدة ورؤية واضحة

(١) انظر: ممدوح، سازمان كنفرانس اسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي)، م.س، ص ٦-١٣.

(٢) انظر: المواد ٢، ٧، ١٢، ٢٠؛ الفقرة ب، المادة ١١ (انظر محور استعمار)، الفقرة ألف، المادة ١٧؛ بند ألف، المادة ١٨ (انظر: تأمين المحيط المعنوي والديني).

وهمة عالية نحو الأهداف الإسلامية، استعادت معها الأمة ثقفتها بنفسها وبمشروعها الحضاري وقدرتها على السير إلى الأمام، وإصلاح الواقع، من خلال التمسك بأحكام الإسلام وتعاليمه وقيمه.

وشكّل انتصار الثورة الإسلامية مفاجأة على المستوى العالمي، حيث كانت أول ردة فعل لأعداء الإسلام محاولة تشويه هذه الثورة؛ عبر إطلاق الألقاب وتهم عليها، من قبيل: «الإسلام المتطرّف» أو «الحاد»، و«الإسلام الجديد والثوري». لكنّ الثورة أثبتت أنّها تحوّلًا إعجازيًا، وحلقة وصل بين الرسالة الإلهية وسبيل تحقّقها العملي على أرض الواقع.

لقد أقامت الجمهورية الإسلامية حكومة إسلامية لا نظير لها ولا مسبوقية لها منذ أكثر من ألف سنة، وكانت الأولى من نوعها. وقائد هذه الثورة كان عالمًا التزم بالإسلام في جميع أبعاده، ولم يهمل أيّ جانب منه تحت أيّ ظروف وضغوط، وبقي على عهده والتزامه بالإسلام وحقوق المسلمين.

إنّ اجتهاد الإمام الخميني قدس سرّه ملأ الفراغ عند الشيعة والسنة في المسائل الحكومية السياسية، و«لا شكّ في أنّ الثورة الإسلامية في إيران مختلفة عن جميع الثورات؛ سواء في ظهورها، أو في أسلوب كفاحها، وكذلك في دوافعها. ولا شكّ أبدًا في أنّها تحفة إلهية وهدية غيبية من الله المنان لهذا الشعب المظلوم»^(١).

فالجمهورية الإسلامية في إيران هي ثمرة الثورة الإسلامية، وقد تمّ تعريفها كما يلي:

الجمهورية الإسلامية في إيران هي نظام قائم على أساس الإيمان:
١. بالله الواحد، وانحصار الحاكمية والتشريع به تعالى، ووجوب التسليم له.

٢. بالوحي الإلهي، ودوره في تبين القوانين.

(١) الخميني، روح الله، صحيفة الامام قدس سرّه الوصية السياسية - الإلهية للإمام الخميني قدس سرّه، طهران، مؤسسة نشر تراث الإمام الخميني قدس سرّه ١٣٦٨ هـ.ش/ ١٩٩٩ م، ص ١٠.

- ٣- بالمعاد، ودوره البناء في مسير الإنسان التكاملي نحو الله.
- ٤- بالعدل الإلهي في الخلق والتشريع.
- ٥- بالإمامة والقيادة المستمرة، ودورها الأساس في استمرار الثورة الإسلامية.
- ٦- بكرامة الإنسان وقيمه السامية، وبالحرية المتلازمة مع المسؤولية باتجاه الله عن طريق:
 - الاجتهاد المستمر للفقهاء الجامعين للشرائط، على أساس الكتاب وسنة المعصومين عليهم السلام.
 - الاستفادة من علوم البشر المتقدمة وفنونهم وتجاربهم، والسعي لتطويرها.
 - رفض أي نوع من الظلم والجور والتسلط والرضوخ، وبالتالي تأمين القسط والعدل والاستقلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتعاوني^(١).

ب- أصول السياسة الخارجية في دستور الجمهورية الإسلامية في

إيران:

يمكن للباحث تتبع أثر مباني العلاقات الخارجية لنظام الجمهورية الإسلامية في كلمات الإمام الخميني قدس سره ومقابلاته في سنوات الثورة، وخاصة بعد سقوط النظام الشاهنشاهي، حيث أكد قدس سره على أسس ومعايير أضحت في ما بعد أصولاً للسياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية.

وهذه الأصول التي خلقت روحاً جديدة في العلاقات الدولية للعالم الإسلامي هي عبارة عن:

(١) دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الأصل الثاني.

رفض أيّ نوع من التسلّط^(١):

إنّ مفهوم «لا شرقية ولا غربية» يدلّ على رفض سلطة الأجنبي^(٢)، ولا يدلّ على قطع العلاقات مع الدول، ولعلّ رسالة الإمام قُدِّسَتْ سِرُّهُ إلى غورباتشوف هي خير دليل على ذلك^(٣). فالعلاقات الخارجية تنطلق من قاعدة «نفي السبيل» المذكورة في القرآن الكريم^(٤). وقد بيّن الإمام قُدِّسَتْ سِرُّهُ قبل انتصار الثورة وبعدها مستندات هذا الشعار وأدلّته من القرآن الكريم^(٥). فقاعدة نفي السبيل هي إحدى القواعد الحقوقية الدولية في الإسلام التي يُجمع عليها العلماء المسلمون^(٦).

ونلاحظ تكرار أصل «لا شرقية ولا غربية» في آثار الإمام الخميني قُدِّسَتْ سِرُّهُ وكلماته أكثر من ٣٠٠ مرّة، وكلمة الاستقلال أكثر من ٢٠٠ مرّة. وقد رسخت هذه القاعدة في أصول سياسات النظام؛ حتى أضحت التخلّي عنها مرادفاً للتخلّي عن هوية النظام الإسلامي^(٧).

إحياء فكرة الأمة الإسلامية :

إنّ هذه الفكرة ذات أصل قرآني، ويُعدّ إحياءها مبشّراً باستعادة المجد المفقود من المسلمين^(٨). فالثورة الإسلامية هي حركة ونهضة شاملة لجميع المستضعفين على المستكبرين في كلّ العالم. وقد لحظ الدستور استمرار هذه الحركة وعمل تقويتها داخل إيران وخارجها، وصولاً لتحقيق مفهوم الأمة الواحدة.

- (١) دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، م. س، المادة ١٥٤: «السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية تقوم على أساس نفي كلّ نوع من التسلّط والانصياع، وحفظ الاستقلال الكامل والتام لكلّ الوطن، والدفاع عن حقوق كل المسلمين، وعدم الالتزام تجاه القوى المتسلّطة في العلاقات السلمية مع الدول المسالمة.
- (٢) الثمانينات: العالم بين قطبي أمريكا والاتّحاد السوفياتي.
- (٣) الرسالة التاريخية للإمام الخميني قُدِّسَتْ سِرُّهُ المرسلة إلى غورباتشوف، والتي يدعوها فيها إلى الإسلام.
- (٤) النساء: ١٤١.
- (٥) انظر: في رسالة عن لائحة الحصانة الأمريكية (١٩٦٤م)؛ وفي رسالة (١٩٧٩م) عن الدعايات والإعلام الأجنبي.
- (٦) أنظر: أصل «نفي السبيل» في الرسالة نفسها.
- (٧) دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، المادة ١١.
- (٨) ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (الأنبياء: ٩٢).

«إنّ تنظيم السياسة الخارجية لإيران على أساس المعايير الإسلامية، والالتزام الأخوي نحو جميع مسلمي العالم، والدفاع عن المستضعفين في العالم؛ هو من واجبات الجمهورية الإسلامية»^(١).

الدفاع عن المناضلين في طريق الحقّ:

إنّ مساعدة المظلومين والدفاع عنهم من أهداف الأنبياء عليهم السلام، وقد اتخذته الجمهورية الإسلامية أصلاً وقاعدة عامّة. «فمع اجتناب التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى؛ فإنّها تساند النضال والمقاومة الحقّة للمستضعفين وتدعمهما، في مواجهة المستكبرين في أيّ مكان من العالم»^(٢).

الاهتمام بحقوق الأقليات الدينية:

إنّ تأمين جميع الأفراد، ومنحهم الحقوق العادلة وبشكل متساوٍ، وتوفير الإمكانيات في جميع المجالات المادّية والمعنوية؛ هي من واجبات الجمهورية الإسلامية، حيث يضمنها لهم الدستور والقانون؛ فكلّ الأقليات الدينية تملك الحقّ في ممارسة شعائرها الدينية، وتستطيع أن تعمل وفق قوانين أحوالها الشخصية الخاصّة وتعاليمها الدينية^(٣).

العلاقات السلمية مع الدول غير المحاربة:

يُعدّ الأصل في العلاقات الدولية هو إقامة علاقات جيّدة مع جميع الدول التي لا تعمل للسيطرة أو التسلّط أو التدخل في الشؤون الداخلية لإيران، وعلى نظام الجمهورية الإسلامية التعامل مع غير المسلمين بالأخلاق الحسنة، ومراعاة القسط والعدل الإسلامي وحقوقهم الإنسانية. ويشمل

(١) دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، المادة ١١.

(٢) م.ن، المادة الثالثة، الفقرة ١٥٤.

(٣) م.ن، المادة ٢، الفقرة ١٤.

هذا الأصل كلّ الذين لا يقومون بأعمال عدائية ضدّ الإسلام والجمهورية الإسلامية^(١).

إنّ ما ذُكِرَ هو أهداف الثورة الإسلامية وقيمها، وقد نصّ عليها الدستور الإيراني، وهي أصول مُلزمة وحاكمة على جميع السياسات الخارجية والحقوقية والعلاقات الخارجية. ولا شك أنّ مرور الزمان سيبيّن كيفية تحقيق هذه الأصول وإجرائها بشكل عملي.

إنّ نجاح تجربة الجمهورية الإسلامية في مجال العلاقات الدولية هو رهن بتعبئة هذا الفراغ بين البعد النظري والجانب العملي. ولا شك أنّ ما تضمّنه الدستور الإيراني له أساس وسند قرآني، والعمل به سيحقّق أهداف الرسالة النبوية؛ كي تصل قافلة الثورة الإسلامية إلى الهدف المقصود.

خلاصة:

يمكن إجمال نتائج هذه الدراسة في ما يلي:

١- يهدف الإسلام إلى بناء عالم يتمكّن جميع الناس فيه بالعيش معاً، في تفاهم وتعاون. ويشير تاريخ الدعوة الإسلامية بشكل واضح إلى مستوى عالٍ من توجّه المجتمع الإسلامي نحو العلاقات الدولية والتعامل الإيجابي مع الأصول الحاكمة عليها. فقد اهتمّ الرسول ﷺ اهتماماً خاصاً بإقامة علاقات عالمية؛ حيث شكّلت عناصر الإيمان والحزم والتوكّل على الله والثقة بالنفس أساس سياسته الدولية. ويعدّ إرساله ﷺ للرسائل والسفراء إلى حكام العالم في ذلك الزمان، وخاصّة إلى أباطرة الروم وإيران من الأحداث المميّزة والنادرة في تاريخ العلاقات الدولية. ففي زمان الرسالة المحمّديّة جرى الحفاظ على الأصول والمعايير الدينية بمستوى الحفاظ على السيادة والكرامة الإنسانية. واستمرّ هذا الأسلوب إلى حدّ ما إلى زمن الخلفاء.

(١) دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، المادة ١١.

٢- عند استلام الأمويين للسلطة السياسية بدأ الانحراف في العلاقات الدولية للمسلمين، واستمرّ كذلك في العصور اللاحقة. وقد مال المستشرقون وبعض الكتّاب المسلمين، بدلاً من أن الاستناد الى المصادر الإسلامية الأصيلة، إلى الاعتماد على تقييمات سياسات حكام المجتمع الإسلامي في بعض المراحل التاريخية؛ ما أدى الى إطلاق «دين الحرب» على الإسلام. والواقع أن الانحراف الذي ظهر في تلك العصور لا يعبرُ أبداً عن حقيقة السياسة الدولية في الإسلام؛ حيث إنّ تبرير سياسات أولئك الحكّام ليس منطقياً، ولا ينطبق مع الإسلام.

٣- في الزمن الحالي، ومنذ انهيار الأمبراطورية العثمانية في العام ١٩١٩م، أحكم الغربيون سلطتهم على العالم الإسلامي، عبر تقسيمه وتحويله الى مجموعة دول تابعة لهم. وأدّت مؤامرة فصل السياسة عن الدين ونزعة الدول الوليدة نحو اتباع النظام السياسي - الحقوقي للغرب، إلى ابتعاد الحكومات والقوانين في هذه البلدان عن الشريعة، واستبدالها بالنظام السياسي - الحقوقي الغربي.

وقد أكمل مصطفى أتاتورك هذا المشروع، من خلال إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا. وبهذا أصبحت العلاقات الدولية في العالم الإسلامي - شكلاً ومعيّاراً - قائمة على أساس الفكر الغربي؛ وفقدت بذلك خصوصيتها وتميّزها.

٤- إلى جانب هذه الحركة التغريبية ظهرت حركات إسلامية في القرن التاسع عشر الميلادي هدفت إلى إعادة الوحدة للعالم الإسلامي، وإحياء الأصول الإسلامية في مجال العلاقات الإسلامية. فكانت حركة المهدي السوداني، والخلافة الهندية، وحركة محمد علي جناح، من أهمّ هذه الحركات، التي -للأسف- لم يكتب لها النجاح؛ بسبب ضعفها النظري وأخطائها العملية.

٥- كان تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي في العام ١٩٧٦م، من أهمّ خطوات العالم الإسلامي في الزمن المعاصر، حيث كانت لهذه

المنظمة جهود عديدة على المستوى الدولي، أهمّها: صياغة المنشور الإسلامي لحقوق الإنسان، الذي حوى مسائل هامة لم تتعرض لها الوثيقة الغربية لحقوق الإنسان. ومع هذا، فإنّ المنظمة لم تستطع أن تحقّق آمال العالم الإسلامي في المجالات المختلفة.

٦- في ما كان الغموض يلفّ مصير العالم الإسلامي، فاجأت الثورة الإسلامية العالم بانتصارها؛ بقيادة عالم ديني بارز هو الإمام الخميني قدس سرّه، فولد أمل جديد في قلوب المسلمين المشتاقين لإحياء الأحكام الإسلامية في العالم، وأقامت هذه الثورة حكومة إسلامية لا مثيل لها منذ أكثر من ألف سنة، وأعدت طرح أصول ومعايير إسلامية في مجال العلاقات الدولية في العالم الإسلامي. ومن أهمّ أصول العلاقات الخارجية للجمهورية الإسلامية في إيران: إحياء فكرة الأمة الإسلامية الواحدة، ورفض الخضوع والتسلّط، وامتلاك علاقات سلمية مع الدول غير المحاربة. لذا، فإنّ نجاح النظام الإسلامي هو رهن بعمله بالأصول، وردم الهوة بين النظر والعمل.